# الباب الثاني
# في الحياة العقلية

## الفصل الأول
## المدارس الدينية

«أصبحت مصر منذ دخول العرب إليها مركزًا علميًّا في المملكة الإسلامية كما هي مركز سياسي»[١]. وقد ذكرنا كيف كان العرب الذين وفدوا على مصر في شبه معزل عن المصريين وعلومهم، ولذلك لم يهتم عرب مصر في القرن الأول إلا بالدين الإسلامي، فاتخذوا من جامع الفسطاط مكانًا للدروس والمناقشات الدينية، ولسنا في معرض الحديث عن هذه العلوم التي كانت تلقى في مسجد الفسطاط، ولكنا مضطرون إلى الإلمام بها؛ لأنَّ دراسة الآداب تضطرنا إلى تتبع تطور الحياة العقلية، ورقي النثر الفني لا يتأتي إلا من هذه الدراسات العميقة، والمناقشات العلمية العنيفة، التي تقوم على جهد في الفكر وذخيرة من العلم، كما أن ألوان الحياة العقلية وأنواع العلوم التي كانت تدرس تعيننا على معرفة نوع هذه الكتابات المختلفة وفنون الشعر وتطورها جيلًا بعد جيل.

### علم القراءات:

ففي مسجد الفسطاط، نرى أول ما درس به كانت علوم الدين من تفسير

---

(١) فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين، ص٢٢٨، (الطبعة الأولى).

obeikandl.com

للقرآن الكريم، ورواية قراءاته، ورواية الحديث الشريف، وكان للصحابة الذين شهدوا فتح مصر أثر بارز في هذه العلوم الدينية؛ إذ هم الذين تولوا أمر التدريس في المسجد الجامع، وأول من أقرأ القرآن بمصر هو أبو أمية عبيد بن مخمر المغافري[١]، وكل القراءات بمصر رواية عن نافع، نقلها عنه إلى مصر عثمان بن سعيد المصري المعروف بورش وكان مصريًّا صميمًا، فهو عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان بن داود بن سابق، كان أصل أجداده من الأقباط، ثم اعتنقوا الدين الإسلامي. ولد ورش بمصر سنة ١١٠هـ، واشتغل بقراءة القرآن وتعلم العربية، ورحل إلى المدينة فقرأ بها على نافع سنة ١٥٥هـ[٢].

ثم عاد إلى مصر، وإليه انتهت رياسة الإقراء فيها، وتوفي سنة ١٩٧هـ[٣]، وساعده في نقل رواية نافع زميل له معاصر، هو سقلاب بن شنينة أبو سعيد المصري[٤]، ولكن المقريزي قال: إن أبا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمي كان أول الناس إقراء بمصر بحرف نافع قبل الخمسين ومائة من الهجرة، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة من الهجرة، ولكن المعروف أن أثر ورش في القراءة أقوى من أثر أي مقرئ آخر. ويحدثنا السيوطي أن عمر بن عبد العزيز أرسل نافعًا إلى مصر ليعلم المصريين، فأقام نافع بمصر مدة طويلة[٥].

---

(١) خطط المقريزي: ج٤، ص١٤٣.

(٢) معجم الأدباء: ج٥، ص٣٣.

(٣) حسن المحاضرة: ج١، ص٢٧٧.

(٤) شرحه.

(٥) حسن المحاضرة: ج١، ص١٦٢.

ومهما يكن من شيء فإن مدرسة نافع قد قوي أمرها في مصر، وتعدد تلاميذ ورش؛ فمنهم أبو يعقوب الأزرق يوسف بن عمرو بن يسار المصري الذي لزم ورشًا مدة طويلة، وأتقن عنه الأداء وخلفه في الإقراء، ولكنه انفرد عن ورش بتغليظ اللام وترقيق الراء، وكان له أثر كبير مصر والمغرب، حتى أن المصريين والبربر ما كانوا يعرفون إذ ذاك غير ورش وأبي يعقوب هذا[١]. وقد توفي أبو يعقوب حوالي سنة أربعين ومائتين من الهجرة.

وأخذ الأندلسيون قراءة نافع عن عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم المصري المتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين هجرية[٢].

من ذلك كله نستطيع أن ندرك أن المصريين كان لهم أثر واضح في القراءات، وعن المصريين أخذ القراء في الأندلس والمغرب، كما كان للمصريين رأي خاص يختلف بعض الشيء عن قراءة نافع، كالذي ذكرناه عن قراءة أبي يعقوب المصري في تغليظ اللامات وترقيق الراءات.

**الحديث:**

وفي الحديث نجد الصحابة الذين وفدوا على مصر يكثرون من روايته، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص أكثر الصحابة رواية للحديث؛ فقد كان من نجباء الصحابة، ومن المكثرين لروايته[٣]، ولأهل مصر عنه أكثر من مائة حديث[٤]، فقد كان عبد الله يعرف الكتابة، وكان يكتب كل ما سمعه من

(١) حسن المحاضرة: ج١، ص٢٧٨.
(٢) شرحه.
(٣) حسن المحاضرة: ج١، ص١٢٤.
(٤) فتوح مصر لابن عبد الحكم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستطاع بذلك أن يحفظ عددًا من الأحاديث كما سمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام، وكثيرًا ما كان يرجع إلى أوراقه عندما يسأل في أمر لا يستطيع أن يجيب عنه. روى ابن عبد الحكم أن عبد الله قال: «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، نكتب ما يقول لا أو نعم»(١). كما كان لغيره من الصحابة أثر بارز في رواية الحديث. وقد أفرد ابن عبد الحكم في آخر كتابه «فتوح مصر» فصلًا خاصًّا بالأحاديث النبوية التي رواها المصريون، وكذلك نجد في كتاب السيوطي «در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة» ذكر هؤلاء الصحابة وما رووه من الأحاديث، واعتمد أصحاب الكتب الستة في الأحاديث على رواية كثير من المصريين؛ فسعيد بن عفير ويحيى بن بكير وعبد الله بن صالح وغيرهم كانوا من شيوخ البخاري، وكان أحمد بن يونس ويحيى التميمي وغيرهما من شيوخ مسلم وأبي داود، ولا داعي للإفاضة هنا عن كل المحدثين المصريين.

**عبد الله بن وهب والمدرسة المالكية:**

ولكن لا بد أن نقف عند رجل مصري يُعد من أوائل جامعي الحديث؛ ذلك هو عبد الله بن وهب المصري صاحب كتاب «الجامع في الحديث». وقد عثر على معظم هذا الكتاب حديثًا في مدينة إدفو، ويُعد من أقدم المخطوطات العربية في جميع مكاتب ومتاحف العالم؛ إن لم يكن أقدمها جميعًا، وهذه النسخة مكتوبة على ورق البردي الذي عرفت به مصر منذ القدم، ويرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الثالث الهجري. أما مؤلفه، فهو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم

(١) النجوم الزاهرة: ج١، ص١٧١.

القرشي بالولاء[١].

وقد شهد ابن وهب هذا العصر الذي ابتدئ فيه تدوين الحديث والفقه والتفسير، فقد كان العلماء قبل ذلك العصر يتكلمون عمَّا حفظوه، وقد يدونون ما سمعوه في صحف مبعثرة متفرقة ولم تكن لهم كتابات مرتبة. ولكن جاء بعض الأئمة والمجتهدين ودونوا ما رأوه وما رووه، فكتب مالك كتابه الموطأ بالمدينة وكتب الأوزاعي مذهبه بالشام، وصنف ابن إسحاق في المغازي، وكتب ابن وهب في مصر كتابه «الجامع في الحديث» فهو بذلك من أول الذين جمعوا الحديث. والغريب أن هذا الرجل -على ما هو عليه من فضل وعلم- ليس معروفًا عند كثير من المؤرخين والكتاب، وذلك في أغلب الظن؛ لأن «جامعه» كان مفقودًا، وقد يكون هذا الكتاب هو الأثر الوحيد الذي يدلنا على فضل هذا الرجل، ولعل رأي العلماء والمؤرخين في هذا المحدث يتغير بعد أن كشف عن جزء من كتابه، كما نرجو أن تعمل الهيئات العلمية على طبع هذا الكتاب.

ولد ابن وهب بمصر في ذي القعدة من سنة أربعين أو خمس وعشرين ومائة من الهجرة، وكان كغيره من متعلمي هذا العصر، يرحل في طلب العلم إلى الحجاز والعراق، فوفد على المدينة سنة ثمان وأربعين ومائة هـ، وهناك أخذ عن مالك، وما زال يقيم معه حينًا، ويفترق حينًا آخر، إلى أن توفي مالك سنة ١٩٧هـ. ويقول ابن خلكان: إن مالكًا كان يكتب إلى ابن وهب: «إلى عبد الله

(١) ابن خلكان: ج١، ص٢٤٩.

بن وهب المفتي ولم يكن يفعل هذا مع غيره»[١]. فهذا يدل على أن مالكًا كنا يعترف بفضل ابن وهب ومنزلته فلقبه بالمفتي. ويروي ابن خلكان أيضًا قصة عنه فيقول: «كتب الخليفة أبو جعفر المنصور إلى عبد الله بن وهب في قضاء مصر، فخبأ نفسه، ولزم بيته، فاطلع عليه أسد بن سعد وهو يتوضأ في صحن داره، فقال له: ألا تخرج إلى النس فتقضي بينهم بكتاب الله وسنة رسوله. فرفع له رأسه وقال: إلى هنا انتهى عقلك!! أما علمت أن العلماء يحشرون مع الأنبياء، وأن القضاة يحشرون مع السلاطين»[٢]. فإن صحت هذه الرواية فهي تحدثنا عن عقيدة ابن وهب وإيمانه، وقيل: إن سبب موته أنه قرئ عليه كتاب الأهوال من «جامعه»، فأخذه شيء كالغشي، فحمل إلى داره، فلم يزل كذلك إلى أن قضى نحبه، في شعبان سنة سبع وتسعين ومائة من الهجرة[٣].

أخذ ابن وهب أكثر مادة كتابه عن مصدرين هما: مالك بن أنس وعبد الله بن لهيعة المصري، وليس لنا أن نتحدث عن الإمام مالك؛ لأنه لم يكن مصريًّا في شيء، وإن كان مذهبه قد دخل مصر وكثر تلاميذه الذين كانوا يدرسون مذهبه في المسجد الجامع، وكان ابن وهب من أجل تلاميذه في مصر، وعنه أخذ كثير من المصريين، حتى أن السيوطي حين عقد فصلًا عمن كان بمصر من الفقهاء المالكية، كان يذكر ابن وهب كأستاذ لمعظم هؤلاء الفقهاء، مثل عبد الحكم بن عبد الله الذي كان أكبر أولاد ابن عبد الحكم وأفقههم، وأجل

(١) ابن خلكان: ج١، ص٢٤٩.
(٢) شرحه.
(٣) شرحه.

أصحاب ابن وهب[١].

ولم يكن ابن وهب وحده هو أستاذ المدرسة المالكية في مصر؛ بل نجد كثيرًا غيره، أمثال: أشهب بن عبد العزيز العامرى فقيه ديار مصر، وكانت إليه الرياسة بها، وبلغ من العلم درجة كبيرة، حتى: قال الشافعي: «ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه»[٢]. وكان ثقة في روايته حتى قيل: إن أشهب ما كان يزيد في سماعه حرفًا واحدًا[٣].

وكان أساس المدرسة المالكية هو رواية الموطأ، وهذا الكتاب كغيره من الكتب الإسلامية التي ألفت في هذا العصر يقوم على الرواية، ولكن ابن وهب لم يشأ أن يقبل الروايات كما هي في الموطأ؛ بل كان يدقق في اختيار الأحاديث، ولعل هذا هو السبب الذي جعل المحدثين جميعًا يثقون به.

أمَّا المصدر الثاني الذي أخذ عنه ابن وهب أكثر مادة كتابه، فهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الحضرمي الغافقي[٤]؛ ولد سنة ست وتسعين هجرية من أصل عربي، وكان والده لهيعة من مشاهير التابعين الذين رووا الحديث بمصر[٥]، ونشأ ابنه عبد الله محبًّا للحديث، جامعًا له، فكان يرحل في طلبه[٦]. وكان ابن لهيعة يكنى أبا خريطة؛ وذلك أنه كانت له خريطة معلقة في عنقه،

(١) حسن المحاضرة: ج١، ص٢٥٤.
(٢) حسن المحاضرة: ج١، ص١٦٦.
(٣) النجوم الزاهرة: ج٢، ص١٧٥.
(٤) انظر النووي: ج١، ص٣٦٤، والسمعاني: ص٤٠٥.
(٥) حسن المحاضرة: ج١، ص١٤٥.
(٦) تاريخ الإسلام للذهبي.

فكان يدور بمصر، فكلما قدم قوم كان يدور عليهم، فإذا رأى شيخًا سأله من لقيت وعمن كتبت؟[١].

وابن لهيعة هذا تلميذ يزيد بن أبي حبيب، الذي وصفه الليث بن سعد بقوله: «هو سيدنا وعالمنا»[٢]. وقيل: إنَّ يزيد هذا أول من أظهر العلم بمصر والمسائل في الحرام والحلال، وقبل ذلك كانوا يتحدثون في الترغيب والملاحم والفتن[٣]؛ لهذا كان يزيد بن أبي حبيب أحد الثلاثة الذين جعل عمر بن عبد العزيز إليهم الفتيا في مصر، وهم: جعفر بن ربيعة وهو عربي، وعبد الله بن أبي جعفر، ويزيد بن أبي حبيب. وهما من الموالي. ولكن العرب أنفوا أن تكون الفتيا إلى الموالي فأجابهم عمر بقوله: «ما ذنبي إن كانت الموالي تسمو بأنفسها صعدًا؛ وأنتم لا تسمون»[٤]. ولا تقف شهرة يزيد بن أبي حبيب عند الفقه أو الحديث؛ بل نراه من الذين اعتمد عليهم عبد الرحمن بن عبد الحكم في كتابه «فتوح مصر»، والكندي في كتابيه «الولاة والقضاة»، والطبري في تاريخه وغيرهم، وذلك لكثرة علمه بالفتن والحروب، وخاصة ما يتعلق منها بمصر وشئونها وحكامها.

كان يزيد أستاذ ابن لهيعة وأستاذ عالم مصري آخر هو الليث بن سعد، ولكن ابن لهيعة اختلف عن أستاذه ابن أبي حبيب، وعن قرينه الليث، فلم يكن حذرًا في قبول الروايات الكثيرة التي كانت تصل إليه، ولم يحتط في إسناده

(١) النجوم الزاهرة: ج٢، ص١٧٥.
(٢) حسن المحاضرة: ج١، ص١٦٣.
(٣) النجوم الزاهرة: ج١، ص٣٠٨.
(٤) خطط المقريزي: ج٤، ص١٤٣.

الأحاديث والأخبار إلى الثقاة، لهذا قلَّ من يثق بأحاديثه وأخباره؛ مع كثرة من نقل عنه، يقول ابن خلكان: إنَّ ابن لهيعة كان مكثرًا من الحديث والأخبار والرواية، وكان يقرأ عليه ما ليس من حديثه فيسكت، فقيل له في ذلك فقال: ما ذنبي؛ إنما يجيئوني بكتاب يقرؤنه علي ويقومون، ولو سألوني لأخبرتهم أنه ليس من حديثي(١).

وأظن أن هذا هو السبب الذي جعل ابن سعد يقول عنه: «إنه كان ضعيفًا»(٢). ومن يدري لعل هذا الرجل كان سببًا في اختراع هذه الأخبار الكثيرة التي رواها ابن عبد الحكم والكندي وغيرهما، وأخذها عنهما غيرهما من المؤرخين؛ إذ إن أكثر ما ورد عن مصر مروي عن طريقه.

وروى ابن وهب كثيرًا عن ابن لهيعة، ولست أدري كيف يأخذ ابن وهب عنه، وهو الذي يدقق في كل رواية. فقد قيل: إن ابن وهب روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ألف حديث ما جرح في حديث واحد(٣).

أمَّا زملاء ابن وهب في نشر مذهب مالك بمصر، فنستطيع أن نقول: إنَّ خاصة أصحاب مالك كانوا مصريين؛ كابن القاسم وأشهب وعبد الله بن عبد الحكم.

أمَّا ابن القاسم فهو أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم العتقي ينسب إلى جماعة العتقاء الذين وفدوا على مصر منذ الفتح، واختطوا بالفسطاط كما ذكرنا.

---

(١) ابن خلكان: ج١، ص٢٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ص٢٠٤، طبعة ليدن سنة ١٣٣٨هـ.

(٣) الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة لابن الزيات: ص٤٥، (مطبعة بولاق سنة ١٩٠٧).

ولد سنة ١٢٨هـ وصحب مالكًا وروى عنه مسائله كلها، وكان يقول: رجلان أقتدي بهما في ديني مالك بن أنس في العلم وسليمان في الورع[١]. وكان يفرع على أصول مذهب مالك وصارت إليه رياسة المالكية بمصر إلى أن توفي سنة ١٩١هـ، وخلفه منافسه وزميله أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي. تلقى العلم عن مالك والليث بن سعد والفضيل بن عياض[٢]، وكان من أكثر الناس علمًا وجلالة، وقد وصفه ابن وهب بقوله: كان أشهب فقيهًا في علوم شتى، ما سئل عن شيء إلا أجاب[٣]، وقال الشافعي: ما رأيت أفقه من أشهب؛ لولا طيش فيه[٤]. وكان ينافس ابن القاسم في رياسة المالكية، حتى انتهت إليه بعد وفاة ابن القاسم، وقد انتصر لأشهب بعض المصريين أمثال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الذي كان يفضل أشهب على ابن القاسم. وتوفي أشهب سنة ٢٠٤ من الهجرة[٥].

ويروي السيوطي أن أول من أدخل مذهب مالك في مصر هو عثمان بن الحكم الجذامي المتوفى سنة ١٦٣هـ.

**الليث بن سعد:**

وما دمنا نتحدث عن هؤلاء العلماء والفقهاء الذين كان لهم أثر في مصر، لا بد لنا من وقفة قصيرة عند عالم مصري شُهد له بالعلم والفقه، حتى قيل عنه:

---

(١) الكواكب السيارة: ص٣٩.

(٢) الديباج لابن فرحون: ص٩٨، (طبعة السعادة سنة ١٢٩٣).

(٣) الكواكب السيارة: ص٣٧.

(٤) ابن خلكان: ج١، ص٧٨.

(٥) حسن المحاضرة: ج١، ص١٦٦.

إنه إمام أهل مصر في الفقه والحديث، ذلك هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن، لم يكن عربيًّا أصيلًا في عروبته، ولم يكن مصريًّا عريقًا في مصريته، بل كان فارسيًّا من أصبهان، وكان مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي.

ولد الليث في قرية من قرى قلقشنده، ويقول الليث: إن بعض أهله حدثوه أنه ولد سنة اثنتين وتسعين للهجرة، ويوقن هو أن ولادته كانت سنة أربع وتسعين للهجرة، ولكن السمعاني يقول: إنه ولد سنة أربع وعشرين ومائة، ويقول السيوطي: إنه ولد سنة أربع وتسعين[١]. ويقول غيره: إنه ولد سنة ثلاث وتسعين[٢]. نشأ بمصر وتثقف على علمائها أمثال يزيد بن أبي حبيب، وجعفر بن ربيعة وخير بن نعيم وغيرهم، ثم لم يقنع بهذا كله، فنراه يطوف ببعض البلدان طلبًا للعلم؛ فذهب إلى مكة للحج سنة ثلاث عشرة ومائة، وهناك أخذ عن نافع مولى عبد الله بن عمر وعطاء بن أبي رباح وهشام بن عروة وقتادة وغيرهم، وزار بيت المقدس سنة تسع وثلاثين ومائة هـ، وزار بغداد سنة تسع وخمسين ومائة[٣]، ففي هذه الزيارات كلها قابل عددًا كبيرًا من التابعين وأخذ عنهم الحديث ورووا عنه.

ونرى له شأنًا آخر من الناحية الفقهية؛ فقد كان الليث فقيهًا مبرزًا، حتى أن الشافعي كان يقول: «الليث بن سعد أفقه من مالك؛ إلا أن أصحابه لم يقوموا به»[٤]. فهذا حكم إمام من أئمة الفقه لليث بن سعد. كذلك كذلك

(١) حسن المحاضرة: ج١، ص١٦٤.

(٢) ابن خلكان: ج١، ص١٣٨.

(٣) يراجع ما كتبه الأستاذ Guest في مقدمة كتاب الولاة للكندي عن الليث ابن سعد.

(٤) ابن خلكان: ج١، ص٤٣٨.

نجد ابن خلكان يروي أن ابن وهب كان يقرأ عليه مسائل الليث بن سعد فمرت به مسألة، فقال رجل من الغرباء: أحسن والله الليث كأنه كان يسمع مالكًا يجيب فيجيب هو، فقال ابن وهب للرجل: بل كان مالك يسمع الليث يجيب فيجيب هو، والله الذي لا إله إلا هو، ما رأينا أحدًا قط أفقه من الليث[١]. ويروي السيوطي أن ابن بكير قال: «ما رأيت أحدًا أكمل من الليث؛ كان فقيه النفس، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الحديث[٢]، والشعر، حسن المذاكرة»[٣]. وقال سعيد بن أيوب: لو أنَّ مالكًا والليث اجتمعا كان مالك عند الليث شبه أبكم ولباع الليث مالكًا فيمن يريد[٤]. وكان مالك يقول: «حدثني مَن أرضى من أهل العلم». يريد به الليث[٥].

ومن تلاميذ الليث: عبد الله بن المبارك، وأبو النضر هاشم بن القاسم، ويونس بن محمد المؤدب، وعبد الله بن وهب، وأشهب، وأكثر هؤلاء من شيوخ ابن حنبل. وسعيد بن عفير، وعبد الله بن صالح كاتب الليث، وعبد الله بن يونس التنيسي. وقد روى البخاري عن أكثرهم، كما أخذ عنه قتيبة بن سعد.

من هذا كله نستطيع أن نعرف مكانة الليث بن سعد في نفوس المصريين المعاصرين له، حتى قيل: إن القاضي والوالي من تحت أمره ومشورته، لا

(١) شرحه.

(٢) في الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة: «يحسن القرآن والفقه والنحو والطب والشعر».

(٣) حسن المحاضرة: ج١، ص١٦٤.

(٤) كتاب الرحمة الغيثية للعسقلاني ص٦، (طبع بولاق سنة ١٣٠١هـ).

(٥) شرحه ص٨.

يقطعان أمرًا إلا بعد أن يرى هو فيه رأيه[١]. واضطر أحد الشعراء من خصوم الليث إلى أن يرسل إلى الخليفة أبي جعفر المنصور يقول:

**لعبد الله عبد الله عندي نصائح حكتها في السر وحدي**
**أمير المؤمنين تلاف مصرا فإن أميرها ليث بن سعد**

وكان الليث ثريًّا كريمًا، ومع فقهه وتدينه كان يأخذ بنصيبه في الحياة الدنيا التي لم يحرمها الله، وقد كتب مالك إليه يقول: «بلغني أنك تأكل الرقاق، وتلبس الرقاق، وتمشي في الأسواق». فأجابه الليث بن سعد: «{قل من حرم زينه الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق...} إلخ الآية»[٢]. وقيل: إنَّ مالكًا أهدى إليه صينية فيها تمر، فأعادها مملوءة ذهبًا ... كما كان يتخذ لأصحابه الفالوذج ويعمل فيها الدنانير، فمن أكل أكثر من صاحبه ناله دنانير أكثر[٣].

كان الليث على حظ كبير من المال، وقسط وافر من العلم، وكان يساجل مالكًا بالمراسلة، ويأخذ عليه أمورًا لا يراها هو، وقد عثرنا على إحدى هذه الخطابات التي أرسلها الليث إلى مالك مدونة في كتاب «أعلام الموقعين» لابن قيم الجوزية، وفي هذه الرسالة نرى بعض المسائل الفقهية التي لا تعنينا في بحثنا هذا، ولكنا نستطيع أن نتخذ هذه الرسالة مثلًا للكتابة الدينية في هذا العصر.

تدلنا الرسالة على أن لغة التأليف التي كانت عربية ساذجة قد دخلها شيء

(١) النجوم: ج٢، ص٨٢.
(٢) النجوم الزاهرة: ج٢، ص٨٢.
(٣) ابن خلكان: ج١، ص٤٣٨.

من الصعوبة والتعقيد، ليس معنى هذا أن اللغة أصابها الفساد، بل خرجت عن سهولتها الأولى، وصارت لغة تأليف علمي بعد أن كانت لغة مخاطبة وحديث، واللغة لا بد لها من تغيير حتى تحتمل هذا التجديد الذي طرأ على العقلية العربية؛ من ذلك كله نجد شيئًا من الغرابة في هذه الكتب العلمية والدينية. ونجد ضعفًا في تأليفها، ولكن عربيتها صحيحة في الغالب، فلم يبق إلا أن المؤلفين لم يتمكنوا من تأدية المعنى الذي قصدوا إليه في قالب عربي صحيح إلا بمشقة وجهد، ولهذا لا تستطيع أن تفهم هذه المتون الدينية التي كتبها المؤلفون في هذا العصر وما بعده إلا بعد شرح وإطالة نظر. لم يشأ الليث في رسالته هذه أن ينمق كتاباته أو يزخرفها بالزينة اللفظية؛ لأن هذه الألوان من الزينة لم تكن قد انتشرت بعد، لهذا استعمل الأسلوب العربي القديم الذي نراه في كتب الحديث وغيرها، والذي نجده في رسائل صدر الإسلام؛ فهو يبدأ بالسلام وحمد الله على طريقة المتقدمين، ثم يدعو الله للمخاطب ولنفسه، وبعد هذا كله يتعرض لموضوع الرسالة:

«سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو «بعد» عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة، قد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك بكم، وأتمه بالعون على شكره، والزيادة من إحسانه، وذكرت نظرك في الكتب التي بعثت بها إليك، وإقامتك إياها، وختمك عليها بخاتمك، وقد أتتنا فجزاك الله عما قدمت منه خيرًا، فإنها كتب انتهت إلينا عنك، فأحببت أن أبلغ حقيقتها بنظرك فيها، وذكرت أنه قد أنشطك ما كتبت إليك فيه من تقويم ما أتاني عنك إلى ابتدائي بالنصيحة، ورجوت أن يكون لها عندي موضع، وأنه لم يمنعك من ذلك فيما خلا، إلا أن

يكون رأيك فينا جميلًا، إلا أني لم أذاكرك مثل هذا، وأنه بلغك أني أفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم، وأنه يحق علي الخوف على نفسي؛ لاعتماد من قبلي على ما أفتيتهم به، وأن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وقد أصبت بالذي كتبت به من ذلك إن شاء الله تعالى، ووقع مني بالموقع الذي تحب، وما أجد أحدًا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا، ولا أشد تفضيلًا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا، ولا آخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه مني، والحمد لله رب العالمين لا شريك له».

ثم نراه بعد ذلك يحدثه في أمور فقهية خالصة، ويفتي له فيها. ومن هذا الخطاب يظهر لنا أثر ثقافة الليث؛ فهي ثقافة عربية خالصة، وثقافة دينية إسلامية تمثلها هذه المسائل الفقهية التي يتحدث عنها. ثم إنا لا نجد أثرًا لهذه الجمل المسجوعة، ولا التكرار والحشو، ولا ذلك الاطناب الذي نراه في الرسائل التي تكلف أصحابها الزينة البديعية، فهذا خطاب ديني كتب بأسلوب علمي، هو هذا الأسلوب الذي نراه في كتب الفقه. ثم نراه يختم خطابه بالدعاء لمالك، والسؤال عنه وعن آله وحاله: «وأنا أحب توفيق الله إياك، وطول بقائك، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك، مع استئناسي بمكانك، وإن نأت الدار، فهذه منزلتك عندي ورأيي فيك فاستيقنه، ولا تترك الكتاب إليَّ بخبرك وحالك، وحال ولدك وأهلك، وحاجة إن كانت لك، أو لأحد يصل لك، فإني أسر بذلك. كتبت إليك ونحن صالحون معافون، والحمد لله، ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا،

وتمام ما أنعم به علينا، والسلام عليكم ورحمة الله»[١].

هذا هو إمام مصر الذي أسف الشافعي على فوات لقيه[٢]، ولو كان تلاميذ هذا الإمام عنوا بعلمه وفقهه لكان له شأن آخر غير هذا الشأن، ولما أهمله الفقهاء وعلماء المسلمين لا سيما هؤلاء المصريين الذين كان لهم أن يفخروا بعالمهم، ويحتفظوا بعلمه، ولكن كانت المالكية مستأثرة بنفوس المصريين أو كما قال الليث: «إنَّ الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة». ثم إن الليث لم يصنف من الكتب كغيره من الفقهاء، ولم يدون أصحابه المسائل عنه، ولهذا قال الشافعي ضيعه أصحابه[٣].

ومن أكبر تلاميذ الليث بن سعد، إسحاق بن الفرات صاحب مالك وقاضي مصر والذي قال الشافعي عنه: «ما رأيت بمصر أعلم منه باختلاف الناس»[٤]. وقال ابن عُلية: «ما رأيت ببلدكم أحدًا يحسن العلم إلا ابن الفرات»[٥]. وتوفي سنة ٢٠٤هـ. وكذلك إسحاق بن بكر بن مضر المصري وكان يجلس في حلقة الليث ويفتي بقوله، وتوفي سنة ٢١٨هـ[٦]، وأحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي، وكان وكيل الليث ومحدثًا عنه[٧].

---

(١) نص هذا الخطاب في كتاب «إعلام الموقعين» لابن القيم الجوزية، ج٣، ص٨٢، (طبع فرج الله زكي سنة ١٣٢٥هـ).

(٢) ابن خلكان: ج١، ص٤٣٨.

(٣) الرحمة الغيثية للعسقلاني: ص٩.

(٤) حس المحاضرة: ص١٦٦.

(٥) الكندي: ص٣٩٣.

(٦) حسن المحاضرة: ص١٦٧.

(٧) الكواكب السيارة: ص٨٣.

ونستطيع أن نقول: إن أكثر فقهاء مصر الذين عاصروا الليث أمثال عبد الله بن وهب وعبد الله بن عبد الحكم وأولاده قد تفقهوا بالليث بن سعد؛ ولكنهم كانوا يؤثرون مذهب مالك على مذهبه.

**المدرسة الشافعية:**

قويت المدرسة المالكية في مصر كما رأينا، ولكن وفد الشافعي على مصر وأقام بها، فاجتمع له المصريون، ومنهم كثير من أنصار مالك مثل محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وغيره، فانقسم المصريون بعد أن كادوا يجمعون على آراء مالك، فلما وجد بعض وجوه المصريين اختلاف التعاليم الشافعية عن المالكية رموا الشافعي بأشياء كثيرة؛ من ذلك ما يرويه ابن خلكان عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنه قال: «كنت أتردد إلى الشافعي، فاجتمع قوم من أصحابنا إلى أبي -وكان على مذهب الإمام مالك- فقالوا له: يا أبا محمد، إنَّ محمدًا ينقطع إلى هذا الرجل، ويتردد إليه، فيرى الناس أن هذا رغبة عن مذهب أصحابه، فجعل يلاطفهم، ويقول: هو حدث، ويحب النظر في اختلاف أقاويل الناس ومعرفة ذلك، ويقول لي في السر: يا بني، الزم هذا الرجل[١].

ويحدثنا الكندي أن عيسى بن المنكدر -الذي تولى قضاء مصر من سنة ٢١٢هـ إلى سنة ٢١٤هـ- كان يصيح بالشافعي ويقول له: يا كذا دخلت هذه البلدة وأمرنا واحد، ورأينا واحد، ففرقت بيننا وألقيت بيننا الشر!! فرَّق الله بين روحك وجسمك»[٢].

(١) ابن خلكان: ج١، ص٤٥٦.

(٢) الكندي: ص٤٣٨.

ويحدثنا ياقوت أن رجلًا من أتباع مالك يسمى فتيان كان يناظر الشافعي كثيرًا، فيظهر الشافعي عليه، فضاق فتيان بذلك، وشتم الشافعي شتمًا قبيحًا، فلم يرد عليه الشافعي، وتعصب قوم لفتيان، فقصدوا حلقة الشافعي حتى خلت من أصحابه، وبقي وحده، فهجموا عليه وضربوه ضربًا مبرحًا، فحمل إلى منزله ولم يزل فيه عليلًا حتى مات[١].

وهكذا انقسم المصريون بين فقه المالكية والشافعية، واشتد النزاع بين المدرستين، حتى أدى الأمر إلى وقوع مناقشات عنيفة بل إلى قتال أحيانًا، فقد جاء في كتاب المغرب: «وفي سنة ٣٢٦هـ عاد أصحاب مالك والشافعي إلى القتال في المسجد الجامع العتيق، وكان في الجامع للمالكيين خمس عشرة حلقة، وللشافعية مثلها، ولاصحاب أبي حنيفة ثلاث حلق، فلما زاد قتالهم أرسل الإخشيد ونزع حصرهم ومساندهم وأغلق الجامع، وكان يفتح في أوقات الصلوات، ثم سئل الإخشيد فيهم فردهم»[٢].

من ذلك نستطيع أن نقول: إنَّ المدرسة الشافعية استطاعت أن تنافس المدرسة المالكية بمصر، وقد هيأت الشافعية جوًّا جديدًا في العلم لم تعهده مصر من قبل؛ إذ استطاعت أن تناقش المذاهب الأخرى وأن تناظرها، فابتدأت أذهان المصريين تتنبه لهذه المجادلات العنيفة والمناظرات الشقية. ونحن إذا قرأنا كتاب الرسالة الذي بين أيدينا وهو كما يقول المؤرخون مكتوب في مصر، نجد الشافعي يستعمل فيه أحيانًا طريقة المناظرة، فيتخيل شخصًا

(١) معجم الأدباء: ج٦، ص٣٩٥.

(٢) المغرب في أخبار المغرب: ج٤، ص٢٤.

يعارضه في تفسير نص أو فتوى، فيجيبه ويفند آراءه حتى يلزمه الحجة، ويقنعه برأيه، وطريقة المناظرة هذه لم تعرف قبله في مصر، ولم نجد لها أثرًا قبل الشافعي، بل هي من آثار دراسة الشافعي في العراق والحجاز، حيث كثر المتكلمون وأصحاب المذاهب، وتشعبت الآراء، وكثر الجدل بين الطوائف الإسلامية وغيرها من المذاهب الدينية الأخرى؛ كمناظرة الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني، والشافعي وابن علية، ونجد الخلفاء العباسيين ووزراءهم يحضرون هذه المناظرات ويقيمونها عندهم، أما في مصر فقد رأينا كيف كاد المصريون يعتنقون مذهبًا واحدًا، ولم تكن بمصر مناظرات كثيرة تشغل العلماء ورجال الدولة كما كان في العراق، ونرى بعض أمراء مصر لا يحبون أن تقام مناظرات بين العلماء أمامهم، فقد قيل: إنه تنازع أبو بكر بن الحداد الفقيه وبكر بن محمد القاضي المالكي وعبد الله بن الوليد، وجرى بينهم لغط كثير في حضرة الإخشيد، فلما انصرفوا قال: «يجرى هذا في مجلسي كدت والله أن آمر بأخذ عمائمهم»[1].

ومهما يكن من شيء فالشافعي هو الذي شجع روح المناظرة العلمية في مصر، فكان يناظر بعض المصريين ليستفيد من علمهم؛ كالذي يرويه السيوطي أنَّ الشافعي كان يقول للربيع بن سليمان: يا ربيع، ادع لي سرجًا -يريد سرج الغول، وهو رجل من أهل مصر عالم باللغة، ولا يقول أحد شيئًا من الشعر إلا عرضه عليه- فيأتي به، فيذاكره ويناظره، ثم يقوم سرج الغول فيقول الشافعي:

(١) المغرب: ص٣١.

ياربيع، نحتاج أن نستأنف طلب العلم[١].

كما كان يناظر مخالفيه من الفقهاء، كالذي يرويه صاحب «تاريخ بغداد» أن صالح بن أبي صالح كاتب الليث بن سعد قال: كنا مع الشافعي في مجلسه، فجعل يتكلم في تثبيت خبر الواحد عن النبي صلى الله عليه وسلم، فكتبناه وذهبنا به إلى إبراهيم بن إسماعيل المعروف بابن عُلية -وكان أحد المتكلمين وممن يقول بخلق القرآن وكانت له مع الشافعي مناظرات ببغداد، وكان مجلسه بمصر عند باب الضوال- فلما قرأنا عليه جعل يحتج لإبطاله، فكتبنا ما قال ابن علية، وذهبنا به إلى الشافعي فنقضه الشافعي، ثم كتبنا ما قال الشافعي، وذهبنا إلى ابن علية، فجعل يحتج لإبطال ما قال الشافعي فكتبناه، ثم جئنا به إلى الشافعي فقال: إنَّ ابن علية ضال قد جلس عند باب الضوال يضل الناس[٢].

وكان من أثر مناظرات الشافعي مع ابن علية أن وضع ابن علية وعيسى بن أبان كتابًا عن الشافعي والرد عليه، ورد عليهما داود بن علي الأصبهاني[٣]. وهكذا أخذ المصريون يؤلفون كتبًا في المذاهب والدفاع عنها، وأخذوا عن الشافعي طريقته في الكتابة العليمة؛ إذ كان يأتي بالآية أو الحديث ويشرحه، ثم يستنبط منه ما ينتهي إليه رأيه، وكان يختار من الألفاظ الجياد الدقيقة ما تلائم المعاني، وجاء تلاميذ الشافعي فحولوا العبارة إلى نصوص علمية، محذوفة السند، كالتي نراها في مختصر المزني مثلًا، فقد أخذ كلام الشافعي وفهمه وكتبه على طريقة أستاذه دون أن يأتي بالأسانيد، فوجدت بذلك روح الكتابة عند

(١) بغية الوعاة: ص٢٥٢.

(٢) تاريخ بغداد: ج٦، ص٢٠.

(٣) شرحه: ج٦، ص٢٢.

المؤلفين المصريين.

وكان كتاب «الأم» مثالًا يحتذيه رجال المدرسة الشافعية في كتاباتهم، وهذا الكتاب ليس كتابًا واحدًا؛ بل هو مقسم إلى عدة كتب، وفي كل كتاب موضوع خاص. وكما قلت كان يأتي بالآية أو الحديث فيفسره، ويعلق عليه بجمل قصيرة متينة التركيب والأسلوب، وفي مقدمة الرسالة نجد الشافعي يبدأ قوله بالحمد، ويكرر في ذلك، وهذه الطريقة ليست مصرية؛ بل هي طريقة عبد الحميد الكاتب، واستعملها كتَّاب العراق في رسائلهم المطولة، ثم نراه بعد ذلك يستطرد في الموضوع الواحد، فبينما هو يحمد الله يذكر آية أو نصًّا ويفسره، ثم يعود إلى الحمد مرة أخرى، ويكرره بالعطف، وقد أكثر من الاستطراد وأطال، ثم يصلي ويسلم على النبي في الديباجة، وهذه الصلاة وذلك التسليم لم يوجدا في الرسائل والكتب، حتى جاء الرشيد فاستعمل ذلك في رسائله، حتى عدت من مناقب الرشيد وقد اتبعها الكتاب بعده.

والشافعي كان فصيحًا في تعبيراته وألفاظه، فكان لذلك أثره في تلاميذه الذين أخذوا ما كتب، ورووا عنه ما قال، حتى اختلف الكتاب أخيرًا في كتاب «الأم»: أهو للشافعي أم للبويطي تلميذ الشافعي؟[1]

والذي أراه أن تلاميذ الشافعي رووا ما في الأم عنه، وجمع البويطي ما رواه عن الشافعي، وسماه الأم؛ فالشافعي نفسه -في أغلب الظن- لم يسم كتابه الأم، بل كان يملي على تلاميذه دروسًا مقسمة إلى الكتب أو النصوص التي يتكون منها الأم فسماها البوطي الأم.

(١) راجع بحث الدكتور زكي مبارك عن كتاب «الأم»، (مطبعة حجازي بمصر سنة ١٩٣٤).

كذلك كان الأمر في كتاب الأصول لأبي حنيفة، فإن أبا الحسن الشيباني هو الذي جمع ما في الأصول وسماه بهذا الأسم، ولكنا نلاحظ أن الشافعي كتب بعض فصول الأم بنفسه، وروى الربيع بعضها عنه؛ وإذن فالشافعي هو صاحب الكتاب وتلاميذه هم الذين جمعوه ورتبوه حتى أخذب مظهره الحالي.

وكما أثر الشافعي في المصريين تأثيرًا محسوسًا، كلك نراه يتأثر بالحياة المصرية نفسها، فالشافعي كان من مدرسة الحديث؛ أي من تلاميذ مالك، وقد هاجم مدرسة الرأي -أي مذهب أبي حنيفة- أثناء زيارته للعراق، ولكنا نجده في مصر يهاجم مدرسة الحديث ممثلة في مذهب مالك، ويكون مذهبه الجديد في مصر. كذلك نراه قد كتب الرسالة مرتين؛ كتبها أولًا في العراق، ثم أعاد كتابتها في مصر بعد أن غير فيها بعض التغييرات التي تلائم الحياة المصرية. وكذلك نقول عن مذهبه فقد كتبه مرتين؛ كتب في العراق مذهبه القديم، وكتب في مصر مذهبه الجديد، ويستطيع رجال الفقه أن يفرقوا بين الذهبين لو قدر للمذهب القديم البقاء.

أمَّا تلاميذ الشافعي الذين كان لهم الفضل في حفظ مذهبه ونشره، فقد عدهم الحافظ السلفي في قصيدة نظمها هي[1]:

**فعليك يا من رام دين محمد ... بالشافعي وما تلاه وقالا**
**أعني محمد بن إدريس الذي ... فاق البرية رتبة وكمالا**
**وأجب كذا عن صحبه وأحبهم ... وأجلهم لله جل جلالا**
**فأجلهم شيخ الأئمة أحمد[2] ... فيما رواه من الحديث وقالا**

(١) الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة لابن الزيات: ص١٥١.

(٢) يقصد الإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب المعروف.

والأعيني[١] ويونس الصدفي[٢] والـ ـمزني[٣] آخر من إليه مالا
وكذلك حرملة[٤] بن يحيى والـ ـبويطي[٥] الذي قد أعجز الإشكالا

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الكريم بن أعين بن ليث، ولد سنة اثنتين وثمانين ومائة، وتوفي سنة ٢٦٨، سمع من ابن وهب وأشهب، ثم صحب الشافعي وتفقه به وحمل في محنة خلق القرآن إلى القاضي بن أبي دؤاد ببغداد، ثم رد إلى مصر، وانتهت إليه رياسة المالكية بعد وفاة أبيه والشافعي، وله كتاب السنن على مذهب الشافعي.

(٢) يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصدفي المصري، روى عن ابن عيينة وتفقه على الشافعي، وقرأ على ورش وتصدر للإقراء والفقه، ولد سنة ١٧٠، ومات سنة ٢٦٤، وروى عنه مسلم والنسائي وابن ماجة، وكان الشافعي يقول عنه: ما رأيت بمصر أعقل من يونس بن عبد الأعلى. (ابن خلكان: ج٢، ص٤١٨).

(٣) أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق، يعتبر إمام الشافعيين، وأعرفهم بطرق الشافعي وفتاويه، صنف كتبًا كثيرة في مذهب الشافعي منها: الجامع الكبير والصغير والمختصر، ومختصر المختصر، والمنثور والمسائل المعتبرة وغيرها، وكتابه المختصر أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي، وعلى مثاله كتب المؤلفون أو فسروا ما فيه (ابن خلكان: ج١، ص٧١، والفهرس: ص٢٩٨، ٢٩٩). ويقول السيوطي: إنَّ الشافعي قال في المزني: إنه لو ناظر الشيطان لغلبه. (حسن المحاضرة: ج١، ص١٦٨) ولد سنة ١٧٥، وتوفي سنة ٢٦٤.

(٤) حرملة بن يحيى بن عبد الله التجيبي أبو حفص المصري، كان له مذهب لنفسه، وصنف المبسوط والمختصر، وروى عن مسلم وابن ماجة، ولد سنة ١٦٠، ومات سنة ٢٤٣. (حسن المحاضرة: ج١، ص١٦٨).

(٥) أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي، سمع من عبد الله بن وهب والشافعي، وسمع منه كثيرون منهم: أبو إسماعيل الترمذي وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وفي تاريخ بغداد أن الشافعي لما مرض مرضه الذي مات فيه جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي، فاحتكما إلى أبي بكر الحميدي فقال لهما: إنه سمع الشافعي يقول: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى (يعني البويطي)، وليس أحد من أصحابي أعلم منه، وجلس البويطي في مجلس الشافعي. (ابن خلكان: ج٢، ص٣٤٦). وكان ابن أبي الليث الحنفي قاضي مصر يحسده، فسعى به إلى الواثق بالله أيام محنة خلق القرآن، فأمر بحمله إلى بغداد مغلولًا مقيدًا وأريد منه القول بذلك، فامتنع؛ فحبس في بغداد إلى أن مات في القيد والسجن يوم الجمعة من رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين. (حسن المحاضرة: ج١، ص١٦٧). وللبويطي كتاب المختصر الكبير والصغير، وكتاب الفرائض. (ابن النديم: ص٢٩٨).

**واذكـر أبـا ثـور[١] فقيـه عراقـه — وفريـدها والحـارث البقـالا**
**ثـم الربيعـان[٢] اللـذان تفننـا — في فقهـه وتحمـلا الأثقـالا**
**والزعفـراني[٣] الـصدوق ورهطـه — في كـل قطـر وأعـرف الأبطـالا**

وأول قاض شافعي ولي مصر هو أبو زرعة محمد بن عثمان بن إبراهيم الثقفي، ولي القضاء سنة ٢٨٤هـ، ولما عزل رجع إلى دمشق، وكان الغالب على أهلها قول الأوزاعي، فأبو زرعة هو الذي أدخل مذهب الشافعي دمشق،

(١) أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، الفقيه البغدادي، صاحب الإمام الشافعي وناقل الأقوال القديمة عنه له الكتب المصنفة في الأحكام جمع فيها بين الحديث والفقه، وكان أول اشتغاله بمذهب أهل الرأي حتى قدم الشافعي العراق فاختلف إليه واتبعه؛ ولكنه خالفه في أشياء، وأحدث لنفسه مذهبًا اشتقه من مذاهب الشافعي، وله مبسوط على ترتيب كتب الشافعي، وأكثر أهل أذربيجان وأرمينية يتفقهون على مذهبه. (الفهرست: ص٢٩٧). وتوفي سنة ٢٤٠هـ.

(٢) هما الربيع بن سليمان المرادي والربيع بن سليمان بن داود الأزدي الجيزي. أمَّا الربيع المرادي فهو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي المؤذن المصري، وهو الذي روى أكثر كتب الشافعي، وقال الشافعي في حقه: «الربيع راويتي». (ابن خلكان: ج١، ص١٨٤). وكان الربيع المرادي أقدم أصحاب الشافعي بمصر صحبة وأشهرهم محبة له. (الكواكب السيارة: ص١٢٢). روى عنه أصحاب السنن الأربعة والطحاوي وأبو زرعة وغيرهم، وكان يملي الحديث بجامع ابن طولون، وهو أول من أملى به، وتوفي سنة ٢٧٠. (حسن المحاضرة: ج١، ص١٩٦).

أمَّا الربيع الجيزي فهو أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج الأزدي الجيزي صاحب الإمام الشافعي، ولكنه كان قليل الرواية عنه وأكثر روايته عن عبد الله بن عبد الحكم، وروى عنه أبو داود والنسائي وغيرهما، وتوفي سنة ٢٥٦ بالجيزة، وهو الذي ينسب إليه جمع الأم وترتيبه بعد البويطي، ونلاحظ أن اسم الربيع تكرر كثيرًا في كتاب الأم فيلتبس الأمر على القارئ: مَن مِن الربيعين هو المقصود؟ وقد وفق الأستاذ زكي مبارك إلى التفرقة بين الربيع المرادي والربيع الجيزي في بحثه عن كتاب الأم: ص٧٣.

(٣) أبو عبد الله الحسن بن محمد بن الصباح، روى المبسوط عن الشافعي على ترتيب ما رواه الربيع وخالف في شيء يسير، ولذا لا يعتمد عليه الفقهاء؛ بل يعتمدون على ما رواه الربيع، وقد ضاع أكثر كتب الزعفراني، وتوفي سنة ٢٦٠هـ. (الفهرست: ص٢٩٧).

وتبعه من بعده كثير من القضاة[١]، وقيل: إن أبا زرعة شرط لمن يحفظ مختصر المزني مائة دينار يهبها له[٢].

وهناك قاض آخر كان له أثره في الأدب والفقه هو أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب المعروف بحربويه، وهو من أهل بغداد ودخل مصر في شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين من الهجرة، وظل قاضيًا على مصر إلى أن عزل سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، فخرج من مصر إلى بغداد حيث توفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة من الهجرة. حدث عن النسائي، وتفقه على أبي ثور صاحب الشافعي، وحدث في زمن ولايته، فلما صرف أملى على المصريين وكتبوا عنه مجالس، وروى عنه أبو جعفر الطحاوي وأبو بشر الدولابي، وكان له مركز قيم في مصر حتى أنهم أخذوا أقوله أمثالًا كقوله: «إن البغاث بأرضكم يستنسر». قال الطحاوي: كنت أذكر عنده ابن أبي عمران الحنفي فقال لي: «إلى كم تقول ابن أبي عمران، قد رأيت هذا الرجل بالعراق، إن البغاث بأرضكم يستنسر». قال: فصارت هذه الكلمة بمصر مثلًا[٣]. وقال الطحاوي أيضًا: كان أبو عبيد يذاكرني بالمسائل، فأجبته يومًا في مسألة، فقال لي: ما هذا قول أبي حنيفة، فقلت له: أيها القاضي أو أو كلما قاله أبو حنيفة أقول؟! قال: ما ظننتك إلا مقلدًا له، فقلت له: وهل يقلد إلا عصبي، فقال لي: أو غبي. فطارت هذه الكلمة بمصر

(١) الكندي: القضاة والولاة: ص٥٢٣، ورفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر. (نسخة خطية بدار الكتب المصرية).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، (نسخة خطية بدار الكتب المصرية).

(٣) الكندي: ص٥٢٩.

حتى صارت مثلًا[١]. وكانت توقيعات أبي عبيد تخرج معنونة مختومة وكتبت بمصر ألفاظه، وجمعت توقيعاته وكانت محشوة فقهًا وبلاغة[٢]؛ ولكن فُقدت كل هذه التوقيعات ولم يبق منها شيء.

**المدرسة الحنفية:**

وضع الإمام أبو حنيفة النعمان مذهبه متأثرًا بما كان في العراق من مذاهب المتكلمين وأهل الرأي، وقد رأينا المصريين لا يقبلون من المذاهب والآراء إلا ما كان صادرًا من المدينة أو مكة، فلا نجد مصريين اهتموا كثيرًا بمذهب أبي حنيفة في أول الأمر، إنما نقل المذهب إلى مصر القضاة الذين كانوا يعينون من العراق، ولعل أول قاض تولى مصر ممن دان بمذهب أبي حنيفة هو إسماعيل بن اليسع الكندي[٣] الذي ولي سنة ١٦٤هـ، وقد كرهه المصريون لأنه كان يذهب مذهب أبي حنيفة، ولم يكن أهل مصر يعرفون هذا المذهب[٤] حتى أن الليث بن سعد كتب إلى الخليفة يطلب عزل هذا القاضي، ويقول: «إنك وليتنا رجلًا يكيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا؛ مع أنا ما علمناه في الدينار والدرهم إلا خيرًا». فاضطر الخليفة إلى عزل القاضي[٥].

وأشهر قضاة مصر الحنفيين في ذلك الوقت، هو القاضي بكار بن قتيبة بن عبيد الله بن أبي برذعة من نسل ابن أبي بكرة الثقفي مولى رسول الله صلى الله

(١) الكندي: ص٥٢٨.
(٢) رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر.
(٣) ذكر في حسن المحاضرة: ج١، ص٢٦٣.
(٤) الكندي: ص٥٧١.
(٥) تاريخ الإسلام للذهبي.

عليه وسلم وصاحبه. ولد بكار بمدينة البصرة وأخذ الفقه عن هلال بن يحيى، وعيسى بن أبان وغيرهما من مشايخ البصرة، وروى عنه أبو داؤد السجستاني، ابن خزيمة، وأبو عوانة، وأكثر عنه الإمام الطحاوي فقيه الحنفية بمصر وغيرهم. ولي قضاء مصر من قبل المتوكل، فدخلها سنة ست وأربعين ومائتين من الهجرة، وكان يحدث في المسجد الجامع، وكثيرًا ما كان أحمد بن طولون أمير مصر يجيء إلى بكار وهو على الحديث فما يشعر به بكار إلا وهو جالس إلى جنبه[١]. ويذكر ابن حجر عن ابن زولاق أنه كان لبكار اتساع في العلم والمناظرة، ولما رأى مختصر المزني، وما فيه من الرد على أبي حنيفة شرع هو في الرد الشافعي، فقال لشاهدين من شهوده: اذهبا إلى المزني فقولا له: سمعت الشافعي يقول ما في هذا الكتاب، فمضيا وسمعا المختصر كله من المزني، وسألاه عما إذا كان هذا كلام الشافعي، فرد بالإيجاب، فعادا إلى بكار فأخبراه بذلك، فقال: الآن استقام لنا أن نقول: قال الشافعي، ثم صنف الرد المذكور[٢].

وكان بكار يشتهي أن يكلم المزني، فاجتمعا يومًا في جنازة، فأشار إلى أبي جعفر التل -وكان حنفيًّا أيضًا- أن يسأل المزني عن مسألة، فقال التل: ما رأيت أعجب من أصحابنا الشافعيين، لهم أحاديث في تحريم قليل النبيذ، ولنا أحاديث في تحليله فمن جعلهم أولى بأحاديثهم منا بأحاديثنا؟ فقال المزني: ليس يخلو أن يكون أحاديثكم قبل أحاديثنا أو بعدها، فإن كانت قبلها فهكذا نقول: إنها كانت محله ثم حرمت، فما نحتاج إلى أحاديثكم، وإن كانت أحاديثكم بعد

(١) رفع الإصر.
(٢) شرحه.

أحاديثنا، فهذا لا يقول أحد أنها كانت حلالًا، ثم صارت محرمة ثم حللت!! فأعجب بكار بقول المزني، وقال: سبحان الله أن يكون كلام أدق من الشعر فهو هذا[١]. وكان بكار يخالف أصحابه في تحليل قليل النبيذ ويذهب إلى تحريمه.

ظل بكار قاضيًا على مصر، ويحدث المصريين بمذهب أبي حنيفة حتى دعاه ابن طولون إلى خلع الموفق ولعنه، فرفض بكار؛ فحبسه ابن طولون، ولما طال حبسه طلب أصحاب الحديث إلى الأمير أن يأذن لهم في السماع منه، فأذن لهم، فكان بكار يحدثهم من طاق في السجن، إلى أن توفي سنة ٢٧٠هـ.

أمَّا الطحاوي فهو يعد إمام المصريين، في مذهب الحنفية لكثرة تلاميذه وخصب نتاجه، ولد سنة ثمان وثلاثين ومائتين من الهجرة، وصحب المزني الشافعي وتفقه به ثم ترك مذهب الشافعي وصار حنفيًّا، وكان كاتبًا للقاضي بكار، وسمع الحديث منه ومن خلق من المصريين، ومن الغرباء القادمين، وتوفي سنة ٣٢١هـ، بعد أن ترك عدة كتب في الفقه، أولع الناس بها لا سيما كتابه «المختصر في الفقه» الذي وضع له الفقهاء شروحًا عدة.

واشتد تنافس المذاهب في مصر؛ فإذا قلد قاضي شافعي كاد لأصحاب المذاهب الأخرى، كالقاضي إسماعيل بن عبد الواحد المقدسي الذي ولي سنة ٣٢١ فقد تحدث مع الأمير تكين، فبعث صاحب الشرطة فأقام من كان بالجامع الكبير من المالكيين والحنفيين[٢]. ويروي ابن حجر عن ابن زولاق أن

(١) الكندي: ص٥١١.

(٢) الكندي: ص٥٤٤.

الإخشيدية كلها كانت تكره ابن الحداد الفقيه لكراهتهم في الشافعية[١]، وأمر القاضي الحارث بن مسكين بإخراج أصحاب أبي حنيفة من المسجد وأصحاب الشافعي وأمر بنزع حصرهم[٢]. وروى الكندي أن القاضي ابن أبي الليث انتهز محنة خلق القرآن فأوقع بأصحاب مالك والشافعي ومنع فقهاءهم من الجلوس في المسجد ومدحه الشاعر الحسين الجمل الأكبر بذلك[٣].

من ذلك كله نستطيع أن نقول: إن الحركة الدينية بمصر كانت حركة كبيرة قوية، وأخرجت مصر عددًا كبيرًا من القراء والمحدثين والفقهاء، بجانب هذه الحركة الأدبية التي سنتحدث عنها في الفصل القادم.

(١) رفع الإصر، والكندي: ص٥٥٥.

(٢) الكندي: ص٤٦٩.

(٣) الكندي: ص٤٥٠.

openkandl.com

# الفصل الثاني
# اللغة والتاريخ

## النحاة واللغويون:

رأينا كيف قامت بمصر مدرسة دينية خالصة، استمرت منذ الفتح في نشاط ودأب، ولم نر في القرن الأول أثرًا لهذه الدراسات الأدبية واللغوية التي كلف بها العراقيون وغير العراقيين من الشعوب الإسلامية، ولكنا نجد تطورًا في القرن الثاني الهجري؛ إذ قامت بمصر دراسات أدبية ونحوية ولغوية، واطرد نمو هذه الدراسات حتى غمرت مصر وفاضت على غيرها من بلدان المغرب، ونبغ عدد كبير من علماء المصريين، وكثرت المؤلفات العلمية التي أفادت المصريين كما استفاد منها غير المصريين.

فمن النحاة الذين كان لهم أثر محمود في مصر بنو ولاد، وأشهرهم «الوليد بن محمد التميمي» النحوي المشهور بولاد؛ كان الوليد نحويًّا مجودًا، روي عن القنبي وأبي زرعة المؤذن كتب اللغة والنحو، وأصله من البصرة، ونشأ بمصر ودخل العراق، ولم يكن بمصر شيء من كتب النحو واللغة قبله، وأخذ عن المهلبي تلميذ الخليل بالمدينة، ثم عن الخليل نفسه[1]. وتوفي سنة ثلاث وستين ومائتين من الهجرة. ومحمد بن ولاد التميمي الذي أخذ عن الدينوري النحو والأدب، ثم رحل إلى العراق، وأخذ عن المبرد وثعلب، وكان يؤدب ابن

(١) بغية الوعاة: ص٤٠٥.

صاحب خراج بغداد[١]، ولكنه عاد إلى مصر يعلم الناس، ووضع كتابه «المنمق في النحو». توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين من الهجرة، وقد بلغ الخمسين من عمره. ثم رحل ولده أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد إلى العراق، وأخذ النحو عن الزجاج، وعاد إلى مصر وألف كتابه «المقصور والممدود» بها؛ وكان الزجاج يعرف فضل أحمد هذا، ويثني عليه عند كل من قدم مصر إلى بغداد، فكان يقول لهم: لي عندكم تلميذ من صفته كذا وكذا. فيقال له: أبو جعفر النحاس؟ فيقول: بل أبو العباس بن ولاد[٢]. وتوفي سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة، وأبو العباس هذا أستاذ أبي عبد الله الرباحي النحوي الأندلسي.

ووضع أحمد بن جعفر الدينوري بمصر كتابه «المهذب في النحو» وصدره بالكلام عن الخلاف بين البصريين والكوفيين، وعزى كل مسألة إلى صاحبها[٣]. ولم يكن نحويًّا فقط؛ بل كان أديبًا يدرس هذا النوع من العلم، فقرأ كتب ابن قتيبة كلها على المصريين. وقد استفاد الأندلسيون من هذا الرجل، كما استفاد منه المصريون، فقد روى السيوطي أن محمد بن موسى بن هاشم المعروف بالأفشين القرطبي رحل إلى المشرق، ولقي بمصر أبا جعفر الدينوري، وأخذ عنه كتاب سيبويه رواية[٤]، وكان الدينوري قد أخذ كتاب

(١) شرحه: ص١١٢.

(٢) شرحه: ص١٦٩.

(٣) معجم الأدباء: ج١، ص٣٨٢.

(٤) بغية الوعاة للسيوطي: ص١٠٨.

سيبويه بالبصرة عن المازني وتتلمذ للمبرد[١]، وتوفي سنة تسع وثمانين ومائتين.

أمَّا أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل فقد نبغ في النحو واللغة، وحذق القرآن وما يتعلق به، وألف في ذلك كتبًا كثيرة، نذكر منها «كتاب معاني القرآن ومنسوخه» كما ألف في النحو واللغة والأدب نذكر من ذلك كتبه «المبتهج في اختلاف البصريين والكوفيين» و«أدب الكتاب» و«شرح المعلقات السبع» وكتاب «طبقات الشعراء». ويروي ابن خلكان أن أبا جعفر النحاس فسر عشرة دواوين وأملاها على تلاميذه بمصر[٢]. وكان في مصر محمد بن حسان النحوي الذي روى النحو عن أبي زرعة المؤذن، وروى عن عبد الملك بن هشام مغازي ابن إسحاق، ومات سنة اثنتين وسبعين ومائتين[٣].

وكذلك نسمع عن محمد بن إسحاق بن أسباط الكندي أبي النضر المصري النحوي، أخذ عن الزجاج وله كتاب في النحو سماه «العيون والنكت» وقال ياقوت: إنه نزل أنطاكية، ثم صار إلى مصر، وكان شيخ أهل الأدب بها، وله تقدم في المنطق وعلوم الأوائل وله «المغني في النحو»[٤]. وكذلك محمد بن عبد الله بن محمد بن سلم -وهو المعروف بالملطي- وكان نحويًّا يعلم أولاد الملوك النحو، ومات سنة ثلاث وثلاثمائة[٥].

وبجانب هؤلاء الأدباء والعلماء المصريين الذين رحلوا في طلب العلوم

(١) شرحه: ص١٣٠.
(٢) ج١، ص٢٩.
(٣) بغية الوعاة: ص٣٨٧.
(٤) بغية الوعاة: ص٢١.
(٥) شرحه: ص٦٠.

العربية، نجد علماء العراق وغير العراق يزورون مصر ويروون بها علومهم، وكان من أثر ذلك أن وجدت في مصر نهضة أدبية علمية، جعلت لها مركز الزعامة في القرون التالية، فقد جاء مصر أبو محمد عبد الملك بن هشام صاحب السيرة، وتوفي بمصر سنة ٢١٨هـ، ونراه في السيرة قد تأثر بمصر فقد روى عن علمائها أمثال ابن وهب وابن لهيعة، وكان ابن هشام إمامًا في اللغة والنحو، وقد اجتمع به الشافعي حين ورد مصر وتناشدا كثيرًا من أشعار العرب[١]. ووفد عليها أبو العباس الناشئ الأكبر «وكان نحويًّا عروضيًّا متكلمًا متبحرًا في عدة علوم من جملتها المنطق، وكان بقوة علم الكلام قد نقض علل النحاة، وأدخل على قواعد العروض شبهًا، ومثلها بغير أمثلة الخليل»[٢]. وتكسب بعلومه هذه في مصر، كما سنرى في حديثنا عنه شاعرًا.

وجاء مصر محمد بن موسى الواسطي، وكان من أهل العلم باللغة وتفسير القرآن، ومات بمصر سنة ٣٢٠هـ[٣]، ويموت بن المزرع قدم مصر مرارًا كان آخرها سنة ثلاث وثلاثمائة[٤]، ولعله في إحدى زياراته أو في هذه الزيارات كلها روى بمصر كتب خاله أبي عثمان الجاحظ.

وكذلك زار مصر محمد بن زيد بن يضحتويه بن الهيثم البردعي، وروى عنه بمصر ابن يونس المؤرخ وأبو القاسم الطبراني، وأصله من أذربيجان نزل مصر فاستوطنها، وكان كثير العلم متفننًا في الأدب واللغة والشعر، وكان ثقة

(١) حسن المحاضرة: ج١، ص٣٦.
(٢) ابن خلكان: ج١، ص٢٦٣.
(٣) بغية الوعاة: ص١٠٩.
(٤) الأنساب للسمعاني: ص٢١.

أمينًا[١].

ويحدثنا ياقوت أن المصريين ما كانوا يعرفون شيئًا من شعر الطرماح بن حكيم، فلما قدم مصر ابن جرير الطبري سأله علي بن سراج المصري أن يملي شعر الطرماح، فجلس ابن جرير عند بيت المال يمليه ويفسر غريبه[٢].

وفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة جاء مصر أحمد بن عبد الله بن مسلمة بن قتيبة، فدخل عليه أصحاب الحديث يسألونه أن يحدثهم، فقال: ما معنى إلا كتب أبي وأنا أحفظها، فإن شئتم سردتها عليكم. فلما عرف الناس ذلك قصدوه، فصار مجلسه غاصًّا بفنون الناس ممن يطلب العلوم والآداب، وقصده أبو جعفر النحاس وابن ولاد وأبو مخاصم المظفر بن أحمد ووجوه البلد[٣].

كذلك وفد على مصر محمد بن أحمد بن علي، من ولد المهلب بن أبي صفرة المعروف بالمهلبي النحوي، قال عنه الزبيدي: إنه كان عالمًا نحويًّا لغويًّا ثقة[٤]، ومات بمصر سنة ٣٤٩هـ.

وهنا أتساءل: هل استطاع هؤلاء العلماء أن يتخذوا لأنفسهم مذاهب نحوية تختلف عن الكوفيين والبصريين والبغداديين؟ وهل هناك فرق بين آراء النحويين المصريين والنحويين في العراق؟ أستطيع أن أجيب على هذا كله بأنه كان للمصريين آراء تختلف بعض الشيء عن آراء العراقيين. وأترك تفصيل ذلك كله إلى البحث الذي سأنشره قريبًا عن «مدرسة النحو في مصر».

---

(١) بغية الوعاة: ص٤٣.

(٢) معجم الأدباء: ج٦، ص٤٣٣.

(٣) رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر، (نسخة خطية رقم ١٠٥ بدار الكتب المصرية).

(٤) بغية الوعاة: ص١٤.

## المؤرخون:

ظهر في مصر عقب الفتح لون من الدراسات الإسلامية، وإن شئت فهو من العلوم العربية، وهو القصص، فظهر القصص الديني بمصر سنة تسع وثلاثين هجرية، وكان أول من قص بمصر هو سليم بن عتر التجيبي الذي تولى القضاء بمصر مدة طويلة[١]، كان هذا القصص سببًا في موضوع آخر هو التاريخ، وقد عني المسلمون منذ الفتح بأمر تاريخ مصر؛ لأنها ذكرت كثيرًا في القرآن الكريم، كما روى عن النبي أحاديث كثيرة عن مصر وأهلها، والمسلمون يعلمون أن إحدى زوجات النبي كانت مصرية، وأن بعض الأنبياء والرسل كان لهم شأن في مصر، عرف المسلمون هذا كله، ورأوا بعد الفتح أشياء لم يروا مثلها كالهرم والمقابر الأخرى التي عرفت بمصر باسم «البرابي» وكان عند العرب هذا القصص الذي يحدثهم عن القدماء فشغفوا بالتاريخ وروايته، وزخرفوا أقوالهم بشيء كثير من القصص الخيالية التي تثير الضحك أحيانًا، ووضعوا من عندهم أخبارًا بعيدة كل البعد عن الصحة، وكانت هذه الأخبار كلها أساسًا لكتب التاريخ التي ظهرت بمصر، وغذى هذه الحركة بمصر وجود عدد من الإخباريين وأصحاب المغازي مثل محمد بن إسحاق صاحب السيرة، وعبد الملك بن هشام راويها، ومحمد بن أبي الليث الذي كان وراقًا على باب الواقدي[٢]، ثم وفد عليها ابن جرير الطبري مرتين، والمسعودي، وعن مؤرخي مصر نقل ابن جرير كثيرًا في كتابه وابن هشام في السيرة، وغيرهما من المؤرخين. ووضعوا في مصر كتبًا عديدة.

---

(١) الولاة والقضاة للكندي: ص٣٠٧.

(٢) الكندي: ص٤٤٩.

ولعل أكثر الكتب القديمة تضليلًا وتخبطًا هو كتاب «فتوح مصر» الذي يسنده بعض المؤرخين إلى ابن إسحاق الأموي، ويسنده بعضهم الآخر إلى الواقدي، وإن كنت أرجح أن للواقدي كتابًا غير الكتاب الذي ينسب إلى ابن إسحاق. ويتجلى ذلك في الاختلاف الذي بين الكتابين.

## كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم:

وهناك كتاب آخر لمؤلف مصري له قيمته وأثره؛ إذ لا أكاد أعرف مؤرخًا كتب عن مصر دون أن يذكر هذا الكتاب، أو يأخذ عنه، لهذا كان كتاب «فتوح مصر» مصدرًا هامًّا من مصادر تاريخ مصر منذ الفتح، كما أنه يمثل لنا ناحية أخرى من نواحي التأليف العلمي بمصر في هذا العصر، فقد رأينا الحركة العلمية والنشاط الفكري كانا متجهين إلى العلوم الدينية في أول الأمر، ثم أضيف إليها العلوم العربية الخالصة، كما اتجه المصريون إلى القصص والعلوم التاريخية، ولقد لعبت يد الخيال في هذه الأخبار التاريخية، فأخرجتها عن جادة الحق، ولكنها تمثل لنا عقلية العرب الذين كانوا يأخذون كل ما يروى لهم دون أن يحاولوا تحقيقه.

هذا النوع من العلوم كان عربيًّا خالصًا، اهتم به الجاهليون والمسلمون، وأخذه بعضهم عن بعض حتى دون في القرن الثالث الهجري، ومن أوائل المدونين للتاريخ ابن عبد الحكم المصري صاحب «فتوح مصر» اختلف في اسم كتابه؛ فصاحب كشف الظنون يقول: إن اسمه «فتوح مصر والمغرب»[1]، والأستاذ تورى ناشر الكتاب يقول: إنه «كتاب فتوح مصر وأخبارها»، وابن

(١) كشف الظنون: ج٤، ص٣٩٦.

خلكان يقول: إنه «فتوح مصر»[١] فقط. ووافقه على ذلك أبو المحاسن في مواضع كثيرة من كتابه «النجوم الزاهرة»، ومهما يكن من أمر هذا الخلاف، فإن الكتاب وضع في فتح مصر مع ذكر شيء من أخبارها كما سنري.

أمَّا مؤلف فهو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن نافع القرشي، فهو عربي قرشي، ولعل أهله جاءوا مصر أيام الفتح وحلوا بها، حتى تمصروا فلقب كل منهم بالمصري. كان لأسرة بني عبد الحكم شأن كبير في مصر بين القرن الثالث الهجري، إذ استطاعوا أن يؤثروا في الحياة السياسية المصرية، كما كان لهم أثر كبير في الحياة العلمية، فقد كان عبد الله بن عبد الحكم(١٥٥-٢١٤هـ) ممن نالهم وفرة من المال، ونصيب كبير من العلم، وصار رئيسًا للمدرسة المالكية بمصر، وقد اعترف المالكيون له بالفضل والعلم والرئاسة، وقد ساعد هذا الرجل الإمام الشافعي حين قدم مصر، فأعطاه ألف دينار من ماله الخاص، وجمع له ألفين من بعض وجوه مصر[٢]، وأخذ ابنه محمد بن عبد الله الفقه المالكي عن أبيه وعن أشهب وصار أحد علماء مذهب مالك، ولما أتى الشافعي مصر لزمه محمد، وكان الشافعي يعجب ويقربه، قال المزني: كنا نأتي الشافعي نسمع منه، فنجلس على باب داره. ويأتي محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فيصعد فيطيل المكث وربما تغذى معه، ثم نزل فيقرأ علينا الشافعي، فإذا فرغ من قراءته، قرب إلى محمد دابته فركبها، وأتبعه الشافعي بصره، فإذا غاب شخصه قال: «وددت أن لي ولدًا مثله، وعلي ألف

(١) ابن خلكان: ج١، ص٢٤٩.

(٢) ابن خلكان: ج١، ص٢٤٨.

دينار لا أجد لها قضاء»[١].

وكان محمد يطمع في رياسة المدرسة الشافعية؛ ولكنها انتقلت منه إلى البويطي، فتحول هو عن الشافعية، وخلف أباه في رياسة المدرسة المالكية، كذلك نقول عن عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم، وسعد بن عبد الله بن الحكم، فقد كان لهما شأن في الدراسات الدينية بمصر.

أمَّا عبد الرحمن بن عبد الله صاحب كتاب «فتوح مصر» فكان من أهل الحديث والرواية، وشغف بالقصص والأخبار، وكلف بالتاريخ، فكان من أثر هذا كله أنه وضع كتاب «فتوح مصر»، وهكذا كانت هذه الأسرة مجدة في التحصيل والدرس، جادة في التأليف والرواية، ولكنهم أصيبوا بكوارث طوحت بهم؛ ففي سنة ٢٢٧هـ جدد الخليفة الواثق أمر محنة خلق القرآن، وحُمل محمد بن عبد الله إلى بغداد كي يمثل أمام القاضي أحمد بن أبي دؤاد الإيادي، ويقر أمامه بخلق القرآن، ولكن محمدًا رفض ذلك، فأهين وعذب حتى أعيد إلى مصر، وفي سنة ٢٣٧هـ ورد كتاب المتوكل بأخذ بني عبد الحكم وغيرهم من أموال عبد العزيز الجروي الذي ثار بمصر، فحكم على بني عبد الحكم بألف ألف دينار، ونادى المنادي في أموال الجروي هذه وكشفها؛ فمن كتمها ضرب خمسمائة سوط، وهدمت داره، فأقر عبد الحكم بن عبد الله بمال عنده؛ فبعث به إلى منزله فلم يُخرج شيئًا، فعذب حتى مات في السجن مختنقًا من دخان كثيف سُلط عليه في السجن. واستقصيت أموال بني عبد الحكم، ونُهبت

(١) ابن خلكان: ج١، ص٤٥٧.

منازلهم، حتى جاء أمر المتوكل بإطلاقهم[١]. ولكنهم ظلوا بعد ذلك مضطهدين لا يسمع لهم ولم نعد نسمع لهم ذكرًا.

يعد عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم من أقدم مؤرخي الإسلام في مصر الذين وصلت إلينا كتبهم. كان كلفًا برواية الأخبار من ثقات المصريين أمثال والده عبد الله، ويحيى بن بكير، وعثمان بن صالح كاتب الليث بن سعد وغيرهم، وعنه أخذ القاسم بن حبيش، وأبو سلمة التجيبي، وابن قديد وغيرهم. وإذا عرفنا أن ابن قديد أحد رواة ابن عبد الحكم كان من أهم المصادر الذين استقى عنهم الكندي كتابيه «الولاة» و«القضاة» أدركنا بسهولة السبب الذي من أجله نرى في كتاب الكندي مقطوعات كثيرة مذكورة في «فتوح مصر» مع أنا نعلم أن الكندي كان يحاول أخذ الأخبار من نفس المصادر التي استقى منها عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، ومع ذلك فالكندي اتخذ كتاب فتوح مصر أساسًا لكتابه؛ لا سيما في الفصل الذي عقده ابن عبد الحكم عن القضاة في مصر.

كان ابن عبد الحكم معاصرًا لمؤرخين من أشهر وأقدم مؤرخي الإسلام، ولكنا نرى ابن عبد الحكم يمتاز عن معاصريه بأنه أوجد فنًّا جديدًا في التاريخ الإسلامي، هو فن «الخطط والأخائذ». وهذا النوع من التاريخ لم يكتب فيه أحد قبل المصريين، ولا نعرف أحدًا كتب فيه قبل ابن عبد الحكم، ولم يوفق المقريزي في قوله: «إن أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها في ديوان جمعه هو أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، ثم كتب بعده القاضي أبو عبد الله

(١) الكندي: ص٤٦٥.

محمد بن سلامة القضاعي كتابه المنعوت بـ«المختار في ذكر الخطط والآثار» ومات في سنة سبع وخمسين وأربعمائة قبل سني الشدة، فدثر أكثر ما ذكر»[١]. لم يوفق المقريزي في هذا القول؛ لأن ابن عبد الحكم في كتابه «فتوح مصر» سبق الكندي في الحديث عن الخطط.

ولعل أول ما يلفت النظر إلى كتاب ابن عبد الحكم أنه مقسم حسب الموضوعات؛ فقد جعله المؤلف سبعة أبواب، وأدرج تحت كل باب ما قيل في الموضوع الذي خص له، فاختلف بذلك عن الطبري والمبرد والجاحظ وغيرهما من الأدباء، فهؤلاء لم يحاولوا أن يقسموا كتبهم إلى فصول أو أبواب؛ بل خلطوا كتبهم، وجمعوا فيها كل شاردة وواردة، زعمًا منهم أن الأديب عليه أن يأخذ من كل شيء بطرف، فأودعوا كتبهم كل شيء دون أن يحاولوا ترتيب هذه الموضوعات. وقد غلب هذا النوع من التأليف على علماء العراق، حتى كان ابن قتيبة فابتدأ بتريب كتبه، أما في مصر فكان المؤلفون يقسمون كتبهم، ويرتبون موضوعاتها، حتى أن الفارابي عندما دخل مصر ومعه كتابه «المدينة الفاضلة»، سأله بعض الناس أن يجعل له فصولًا تدل على قسمة معاينة، فعمل هذه الفصول بمصر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة[٢]. ليس لنا أن نتحدث عما في كتاب «فتوح مصر» من أخطاء تاريخية كان مصدرها جهل العرب والمصريين بتاريخ مصر القديم، ورغبة بعض الرواة في وضع أخبار عن مصر من المحقق أنها بعيدة عن الصواب، وقد يطول بنا الأمر لو ناقشنا هذا كله، ويكفي أن نقول: إن أكثر هذه الخرافات في القسم الأول من الكتاب، وهو القسم الذي

(١) الخطط: ج١، ص٦.

(٢) عيون الأدباء لابن أبي أصيبعة: ج٢، ص: ١٢٨-١٣٩.

ذكر فيه فضائل مصر وتاريخها من أول أمرها إلى أن فتحها العرب، وأقول خرافات لأن علم الدراسات المصرية القديمة أثبت ما يخالف ما جاء بهذا الكتاب. ثم لهذا المبالغات التي لا يكاد يتصورها عقل؛ كوجود أشعار عربية قالها قدماء المصريين وحفروها على آثارهم!!

أمَّا القسم الثاني من الكتاب، فهو يتحدث عن فتح العرب لمصر فذكر المؤلف شيئًا عن علاقة مصر ببعض أفراد من العرب قبل الإسلام وعن كتاب النبي إلى المقوقس، وجواب هذا إلى النبي عليه السلام، ثم ذكر الفتح العربي، وتحدث عن مسألة اختلف فيها المسلمون منذ القرن الأول الهجري، وهي هل فتحت مصر عنوة أم صلحًا، فبسط روايات الطرفين، دون أن يذكر رأيه، فقد كان راويًا كغيره من المحدثين والمؤرخين، وفي الباب الثالث يذكر الخطط والأخائذ والقطائع وهو الفن الذي لم يسبقه غيره إليه، وفي الرابع يتحدث عن الإدارة في عهد عمرو وابن أبي سرح وعن فتح الفيوم وبرقة وطرابلس، وفي الخامس يذكر غزو شمال إفريقيا والأندلس، وفي السادس يسرد أسماء قضاة مصر حتى سنة ٢٤٦هـ؛ أي قبل وفاة المؤلف بعشر سنين، وفي السابع يروي الأحاديث التي حفظها الصحابة الذين جاءوا مصر، وقد بلغ عددهم اثنين وخمسين، فيروي لكل منهم أحاديثه التي سمعها من النبي، وكان ابن عبد الحكم يعتمد على طريقة الرواية، فإن تعاليمه كانت دينية كباقي أسرته، ولكنه اتجه إلى التاريخ والحديث مخالفًا بذلك باقي أسرته الذين مالوا إلى الفقه، فكان لهذا أثره في كتابته للتاريخ؛ إذ جاءت أخبار الكتاب في جمل قصيرة في الغالب، فهو لم يعالج موضوعًا يحتاج إلى فكر عميق، وانتقاء لألفاظ مخصوصة تصلح لما يكتب فيه؛ بل كان يعتمد على الرواية والحافظة؛ لهذا جاءت كتابته طبيعية

سهلة لا تكلف فيها ولا مغالاة.

ومما يحسن الإشارة إليه أن قبر بني عبد الحكم، الذي دفن فيه هذه الأسرة العلمية بجوار قبر الإمام الشافعي، فقبة ضريح الشافعي تجمع قبر الشافعي وقبر بني عبد الحكم؛ وهكذا كان الشافعي صديقًا لهم في حياته، فأصبح جارهم في مماته.

**ابن الداية وكتاب المكافأة:**

كنت أود أن أتعرض لغير ابن عبد الحكم من المؤرخين المصريين أمثال عمار بن وسيمة المصري المتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين صاحب التاريخ على السنين، وأحد تلاميذ مدرسة الليث بن سعد[١]، وابن يونس صاحب تاريخ مصر[٢]، والكندي المؤرخ المعروف وغيرهم كالذي ذكرهم المسعودي في مقدمة كتابه «مروج الذهب» والذين روى عنهم ابن جرير الطبري في تاريخه وتفسيره؛ ولكني أترك ذلك كله لمن يتوسع في دراسة الحياة العقلية في هذا العصر.

ولكن أرى أن أتحدث عن مؤرخ مصري آخر عاش في هذا العصر واتصل ببعض الأمراء المصريين، وبمختلف طبقات الشعب، ووضع كتبًا عن هؤلاء الأمراء، ثم تحدث في كتب أخرى عن هذا الشعب وحاله، ذلك هو الكاتب المعروف بـ«ابن الداية». وإذا تحدثنا عن ابن الداية فسنتحدث عن كتابه «المكافأة» لأنه مصدر من مصادر التاريخ والأدب، ونستطيع منه أن نعرف

(١) حسن المحاضرة: ج١، ص٣١٩، ومروج الذهب: ج١، ص٤.

(٢) حسن المحاضرة: ج١، ص٣١٩ وغيرها، وتاريخ الطبري في مواضع متعددة.

حالة سكان مصر في هذا العصر واتجاه عقولهم.

جمع الكتاب عدة قصص خلقية، ولكنها لم تكن خيالية؛ بل هي حوادث واقعية حدثت للمؤلف، أو لوالده، أو لغيرهما من المعاصرين، أو غير المعاصرين، ويتحدث في كل واقعة من هذه على مكافأة قدمت نظير عمل أو معروف، فالكتاب من هذه الناحية يستحق التقدير والبحث.

ومؤلف الكتاب هو أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم المعروف «بابن الداية» فإن والده يوسف بن إبراهيم كان ولد ظئر إبراهيم بن المهدي، وأخا للخليفة العباسي المعتصم[١] بالرضاعة فهو لم يكن مصري الأصل، ولا أدري تمامًا إذا كان عربي الأصل أم أعجميًّا.

وإن كنت أرجح أنه من أبناء إماء الخليفة.

نشأ يوسف بن إبراهيم في دار الخلافة ببغداد، وصار مع إبراهيم بن المهدي طول حياته وتولى كتابة إقطاعاته، حتى توفي إبراهيم في أواخر سنة ٢٢٤هـ في خلافة المعتصم، وأخذ قواد الخليفة من الأتراك يضيقون الخناق على العرب ومواليهم، ولم يستطع يوسف البقاء في «سر من رأى»، فتركها إلى دمشق سنة خمس وعشرين ومائتين، وهناك نزل على عيسى بن حكم الطبيب النسطوري[٢]. ولكنه لم يشأ أن يبقى في الشام طويلًا، بل وفد على مصر، ولما أن علم المصريون بوجوده أقبلوا عليه؛ لأنهم سمعوا عن علمه وأدبه، وصادقوه فعاش بينهم، ولُقب بيوسف بن إبراهيم المصري، وكان بينه وبين

(١) المكافأة: ص١١٥.

(٢) عيون الأنباء: ج١، ص١٢١.

أحمد بن المدبر في العراق عهد صداقة ومودة، ولكن لما تولى ابن المدبر أمر خراج مصر، ورأى حسن ظاهر يوسف ظن أن ذلك عن أموال جمة لديه، فطالبه ببعض بقايا عقود انكسرت عليه، فحبسه طويلًا حتى أنقذه أبو الفوارس مزاحم بن خاقان، وكانت أم زوج يوسف قد تولت تربية مزاحم هذا[١].

كان يوسف فيما يروى عنه يحب العلم والعلماء، ويحرص على اقتناء المؤلفات المختلفة، كما أنه وضع عدة كتب منها: كتاب أخبار إبراهيم بن المهدى، وكتاب الطبيخ[٢]. ويحدثنا ابنه أحمد أن الأمير أحمد بن طولون حبس يوسف بن إبرهيم، ولا ندرى سببًا لذلك، ثم يقول: إن بعض وجوه المصريين كلموا الأمير في أمر يوسف فأفرج عنه[٣]. ولعل هذه القصة تدلنا على ما كان ليوسف من المكانة في نفوس المصريين، وكذلك كان يوسف على سعة من الرزق؛ فقد كان يجري بعض المال على بعض الأشراف المقيمين في مصر[٤].

أمَّا مؤلف الكتاب أحمد بن يوسف، فقد عرف عنه شغفه بالعلم، وكلفه بالأدب، ويروي ياقوت عن ابن زولاق: «كان أبو جعفر رحمه الله في غاية الافتنان، أحد وجوه الكتاب الفصحاء، والحساب، والمنجمين، مجسطي، إقليدسي، حسن المجالسة، حسن الشعر»[٥]. لذلك كان أحد خواص بني

(١) المكافأة: ص١٠٧.
(٢) المكافأة: ص١١٥.
(٣) شرحه: ص٢٥.
(٤) شرحه: ص٤٨.
(٥) معجم الأدباء: ج٢، ص١٥٧.

طولون، حتى عُرف بكاتبهم، وقد ألف هذا الرجل جملة كتب في التاريخ والأدب نذكر منها كتاب «سيرة أحمد بن طولون» وسيرة ابنه «أبي الجيش»، ويقول ابن زولاق: «وكان أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم الكاتب قد عمل سيرة أحمد بن طولون أمير مصر، وسيرة ابنه أبي الجيش، وأنشدا في الناس، وقرأتهما عليه، وحدثت بهما عنه، مع غيرهما من مصنفاته، ثم عملت أنا ما فاته من سيرتهما»(١). وله كتاب «أخبار غلمان بني طولون» وكتاب «حسن العقبى» وكتاب «أخبار الأطباء» و«كتاب المكافأة»، ولعلك تدرك من أسماء هذه الكتب أن جلها كتب تاريخ وأخبار، ولم تكن ككتاب ابن عبد الحكم، بل هي مجموعة أخبار وقصص تمثل الحياة التي يتحدث عنها أصدق تمثيل.

لم يكن ابن الداية كاتبًا فحسب، بل كان شاعرًا أيضًا، وروى عن نفسه فقال: «كان أبو الفياض سوار بن شراعة الشاعر صديقًا لي، ومائلًا إلي، فلما اعتزم على الرجوع إلى العراق سألني أن أكتب له شيئًا من شعري، فكتبت له مقدار خمسين ورقة، وكان يستحسنه ويعجب به، فصار إلى بغداد، وعرضه على جماعة الأحرار، وأحسن وصفي لهم بسلامة مذهبه وطهارة نيته. ودخل محمد بن سليمان مصر وقد رد البريد بها إلى أبي عبيد الله أحمد بن صالح، فسأل عند دخوله إياها عن أحمد بن يوسف، فأحضر أحمد بن يوسف -وكان كاتبًا لأحمد بن وصيف ثم لابن الجصاص التاجرين- فقال له: تعرف أبا الفياض؟ قال: لا. فقال لهم: ليس هذا الرجل الذي طلبت، فأحضرت، فلما رآني استشرف إلي وقال: تعرف أبا الفياض! فقلت: ذكرك الله وإياه بكل صالحة، نعم أعرفه،

(١) المغرب: ص٤.

وكان خلًّا لي. فقال: هل أنشدك من شعره:

**ظللنا بها نستنزل الدن صفوه فينزل أقباسًا بغير لهيب**

قلت: لا يا سيدي؛ ولكني أنشدته إياه من شعري. فضحك وقال: والله لقد اشتقت إلى الدخول إلى مصر من أجلك». ثم يقول ابن الداية: «وكان والله أفضل عون لي على أموري»[١].

كذلك كان شعر ابن الداية سببًا في قيام بعض القيسية على خدمته وخفره دون مقابل[٢].

نستطيع -كما قدمت- أن نقول: إن كتاب المكافأة هذا كتاب أدبي؛ لما فيه من طرائف ومكاتبات وأشعار، ونستطيع أن نتخذه كتاب قصص لما فيه من حوادث واقعية، وأن نتخذه ككتاب في الأخلاق لما فيه من موعظة حسنة، ومكافأة قدمت نظير عمل الخير. ونرى مؤلفه يقسمه إلى أبواب وفصول؛ فجعل قسمًا للمكافأة على الحسن أو مكافأة على معروف صنعه، وختم هذا القسم بنبذ عن أفلاطون، أما القسم الثاني فهو الجزاء على ما يبدر من الإساءة، ثم أردف ذلك بفصل عمن ابتلي فصبر، فكان ثمرة صبره حسن العقبى. وختم هذا الفصل بطائفة من كلمات مأثورة لبعض الحكماء من الفرس واليونان، مما يدل على أن ابن الداية كان يلم ببعض الآداب الفارسية واليونانية، ويحفظ كثيرًا من كلمات الفرس واليونان، ويستعمل ألفاظًا غير عربية في كتاباته كقوله: «إن ديوانيان خالد» بمعنى كتاب الديوان، ولفظ «تليس» بمعنى الحقيبة، وهو في

(١) المكافأة: ص٤٤، ٤٥.

(٢) المكافأة: ص٢٠.

هذا يشارك غيره من الكتاب والأدباء فقد نقلت الكتب اليونانية والفارسية إلى العربية، واستطاع المسلمون أن يعرفوا شيئًا من الآداب والعلوم الأجنبية، ويمزجوا بين هذه الآداب والعلوم الدخيلة والآداب والعلوم العربية، فكان كتاب المسلمين يزينون كتاباتهم باقتباس حكم الفرس واليونان، وهذا ما نراه واضحًا في الكتب العربية أمثال كتب الجاحظ وابن قتيبة وابن الداية وغيرهم.

نرى ابن الداية يبدأ كتابه بالدعاء فيقول: «سدد الله فكرك، وأحسن أمرك، وكفاك مهمك». وإذا رجعنا قليلًا إلى كتب الجاحظ في «البيان والتبيان» و«الحيوان» وغيرهما، وجدناه يتبع هذه الطريقة في ابتداء الكتب، وهي أيضًا الطريقة الشائعة عند كتاب العراق في ذلك العصر، ولعلها نقلت إلى مصر فعرفها المصريون كغيرها من الفنون التي أخذها المصريون عن العراقيين، ولكن كان ابن الداية يختلف عن معاصريه من الكتاب، فإنه لم يتعمد السجع، ومع ذلك كان يتفنن في الكتابة، حتى جاءت بعض جمله مثالًا للأسلوب العربي كقوله: «إني سر من أسرار والدي كتمه عن سائر الناس، وأفضي به إليك، رآك أهلًا لستره عليه، فلا تخفر ظنه فيك»[١].

وبجانب هذه الجمل المتينة التركيب نجد جملًا ضعيفة غامضة لا تستقيم كتابتها مع قواعد النحو مثل قوله: «وكانت أشفق النساء وأضبطهم وأحسنهم تدبيرًا فيما تتولاه»[٢]، بدلًا من «وأضبطهن وأحسنهن»، وقوله: «جزاء ما قدمتيه ما تسمعيه مني»[٣]، بدلًا من «جزاء ما قدمته ما تسمعينه مني». على أننا

(١) المكافأة: ص٥١.
(٢) شرحه: ص٥٢.
(٣) المكافأة: ص٥٢.

لا نقطع بأن هذا الخطأ وقع من الكاتب نفسه، وقد يكون من خطأ النساخ أو المطبعة.

ومع هذا فالكتاب هو البقية الباقية من الكتب الأدبية التي أُلفت في هذا العصر؛ إذ لم نعثر على كتاب غير هذا الكتاب.

نستطيع أن نقول: إن الحياة العلمية بمصر نقلت إليها من العراق وعاشت مصر على ما أنتجه العراقيون أو ما أخرجه المصريون تلاميذ العراقيين، كما كان للكتب التي تنقل من العراق إلى مصر قيمة خاصة يحدثنا ابن الداية أنه عقب وفاة والده يوسف بن إبراهيم، أرسل أحمد بن طولون من يهاجم داره، ويحضر كل صناديقه عساه يجد شيئًا من كتب العراق(١).

ومع أن مصر كانت موطن العلم والعلماء قبل الإسلام، وفيها اجتمعت ثقافات البلاد المختلفة، فإنا نجد مصر في هذا العصر الذي نؤرخه لا تعني بشيء سوى هذه العلوم الدينية الإسلامية، ثم هذه العلوم العربية الخالصة، من نحو وصرف ورواية الأشعار، ولم تساهم مصر في العلوم الدخيلة القدر الذي ساهم به العراقيون مثلًا، ولم تنشط في مصر حركة الترجمة كما نشطت في الأقطار الأخرى، ولكن مما لا شك فيه أن المصريين كان لهم نصيب في حركة الترجمة وعلى الأخص كتب الطب والكيمياء وقد ذكرنا شيئًا من ذلك فيما قبل، كما ترجم في مصر التوراة إلى اللغة العربية، فقد روى المرحوم جورجي زيدان أن نزاعًا نشب في مصر بين طائفتين من طوائف الدين الإسرائيلي هما طائفة الربانية وطائفة القرائين، فأفادت هذه المجادلات اللغة العربية؛ إذ نرى رجلًا

(١) المكافأة لابن الداية: ص٤٨.

من كبار رجال الدين والعلم اليهودي هو سعيد الفيومي الإسرائيلي ينقل من العبرية إلى العربية كتب موسى الخمس وسفري أشعيا وأيوب[١].

أمَّا الكتب الفلسفية والمنطقية وغيرها وعلوم الفرس والهند فلم ينشط لها المصريون في هذا العصر بالقدر الذي وجد في العراق، ولكنها وصلت إليهم بعد أن نقلت إلى العربية في الأقطار الشرقية، فتقبلها المصريون بعد ذلك وساعدتهم في العصور التي تلي عصرنا هذا على أن ينبغ بينهم عدد كبير من الكتاب والمفكرين.

(١) تاريخ التمدن الإسلامي: ج٢، ص٧٥.

obeikandl.com